

نبض المدينة

صيدة

صورة ثقافية وفنية في عاصمة الجنوب
لا يختلف إثنان على مكانة صيدا في التاريخ السياسي والثقافي الجنوبي خصوصا واللياني عموماً. هذه المدينة الساحلية التي عانت إهمالاً كبيراً على الرغم من كثرة الوجود (خصوصاً منذ التسعينيات). تكبّد إناؤها مرارة الضيف والتراجع على مختلف المستويات. لعلّ آخر الأزمات التي مرّت بها هي عزلتها عن محيطها ورزوحها تحت خطر الجماعات المتشدّدة. على رأسها أحمد الأسير. غيمة مرت في سماء الجنوب. حاولت بعدها صيدا النطاق أناسها وجذب اولاد المناطق المجاورة وكل لبنان إليها. ضمن ذلك سنوات. ولدت «مهرجانات صيدا الدولية»

ولادة ثانية بعد عقد من الغياب

«إشبيلية» حاضنة الفن والثقافة المستقلة؟

تحاول اليوم إثبات نفسها كـ «أول فضاء فني وثقافي مستقل في صيدا»، وتعمل في سبيل «تكريس لا مركزية الثقافة وتنوّع أشكالها من خلال تقديم أنماط مختلفة من الفنون المحاصرة»، انطلاقاً من أنّ صيدا «عطشني جداً». هذه باختصار الرؤية الأساسية لابنتي عدنان الزبياوي. سنوات إلى جزء أساسي من ذاكرة الصيداويين والجنوبيين، من مختلف الأعمار والتوجهات والخلفيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. حتى إنها كانت بالنسبة إلى مجموعة كبيرة منهم ملجأ حاولوا الاحتساء به من نيران الحرب الأهلية والصواريخ الإسرائيلية، فيما كانت تتخذ منها الأحزاب اليسارية في الثمانينات مساحة لعرض ومناقشة الأفلام.

الزبياوي الذي كان رئيساً لـ «منظمة العمل الشيوعي» في الجنوب ثم وقف لاحقاً في الصف السياسي مع رفيق الصبا رفيق الحريري، أسس في 1975 سينما «غرانادا» في شارع رياض الصلح (البوابة الفوقية)، قبل أن يغيره نجاحها لافتتاح سينما أخرى يُطلق عليها اسم «إشبيلية» في شارع بات يحمل اليوم اسم حسام الدين الحريري. ستحوّل إلى واحدة من أهم دور السينما في صيدا في الثمانينات وصولاً إلى التسعينيات. كانت «إشبيلية» تعرض فيلمًا عربيًا كل أسبوع، يليه آخر اجنبي في الأسبوع التالي، بالإضافة إلى مسرحيات لفرقة «السنابل» مثلاً، وعروض للمبايستر سليم سخّاب، والطفلة ريمنا خنيطش، وأحمد فقير، وآخرين.

«إشبيلية» و«غرانادا» و«المجير» و«روكسي»، و«كابيتول» و«ريغولي» و«الحمرا» و«هيلتون» و«شهرزاد»، سينمات حفرت مكانتها في ذاكرة الصيداويين والجنوبيين، غير أنها وعلى الرغم من محاولاتها الحثيثة للاستمرار، لم تلبث أن انطقت بفعل تحولات اقتصادية وسياسية واجتماعية مختلفة طرأت على «بوابة الجنوب»، لتحلّ مكانها السينمات التجارية الشهيرة التي وصلت إليها مع افتتاح المجمعات التجارية. دور كانت تُخرج العائلات من بيوتها ليلاً ونهاراً لدعم حركة ثقافية ساهمت في تنامي الحركة السياسية والمطالبة، لا سيّما بعد التصاق صيدا بالقضية الفلسطينية، وانطلاق شرارة الثورة التي قادها الشهيد معروف سعد.

انطلاقة جديدة
اليوم، وبعد حوالي عقد من الإقفال، عادت «إشبيلية» لتفتح أبوابها مرتدية حلّة جديدة. لم يعد هذا المكان سينما تجارية، بل صار سينما ومسرحاً يختصّان عروضاً مستقلة وبديلة كل يوم جمعة عند الساعة السابعة والنصف مساءً (مع أسعار بطاقات ثابتة ومحدّدة بثمانية آلاف ليرة لبنانية).

هذا ليس كل شيء، لأنّ «إشبيلية»



مسرح وسينما «إشبيلية»

هيبة التي درست فنون التواصل في «الجامعة اللبنانية الأميركية». خلال جولة في أرجاء المكان العابق بالنوستالجيا، تخبرنا الشابة أنّ أي تغييرات لم تطرأ على السينما الجغرافي... كلّمنا حاولت التنفّس، بطراً تطوّر ما يعيدها إلى الوراء». تشدّد نهلاً على أنّها وشقيقتها تدركان أنّ «مشروعنا مغامرة وأمامه تحديات جمة... نحن واعيتمان لها وجاهرتان. نجاح التجربة وتطورها هما تحدّ للمدينة. نحن نتوجّه إلى أهل صيدا والمحيط والجنوب... وإلى الفنانين الراغبين في التواصل مع جمهور خارج بيروت». تتدخّل هبة لتقول عبارة مقصّبة تختصر «إشبيلية» اليوم: «إنّهُ فضاء من صيدا إلى كل لبنان»، مشيرة إلى أنّه «لذلك هذا القليل. وهذا غير مقبول لأنّها يستحقّ من الصيداويين والجنوبيين واللبنانيين عموماً أن يشاركوا هذه الرحلة... فمن المستحيل أن نتجّع ونتقلّب من دونهم».

تستمر عملية ترميم البنية في صيدا القديمة منذ سنوات (هيلم الموسوي)

في سبيل تنظيم المشروع وضمان استمراريّته. ترافقت الانطلاقة الجديدة في 14 أيلول (سبتمبر) الماضي مع تأسيس جمعية «فنون إشبيلية» غير الربحية. «اعتبرنا أنّ تأسيس المشروع ضرورية»، تقول هبة قبل أن تضيف: «تهدف هذه الجمعية إلى نشر اللامركزية الثقافية ودعم الفنانين المستقلين في لبنان، والتحكّي عن ألواح الدقينة ودعمها، على أمل النجاح كذلك في استخدام أعمال وأسماء من خارج لبنان. لذلك حاولنا أن يكون المكان متكاملًا... ومع الوقت سنكتشف ما الذي يحتاج إليه شباب المدينة الذين سيترقّون إلى أشخاص يملكون اهتمامات مشابهة». وفي ما يتعلق بالمعضلات الاقتصادية التي تتعرض عادةً لطريق المشاريع المستقلة في لبنان، تحدّثت هبة عن السعي إلى «خلق مجتمع صغير لتصبح «إشبيلية» جزءاً من حيوات أفراد». فنحز لا نريد الاعتماد حصراً على المنح والتحويل للاستمرارية. على صعيد الاستثمارية، تحطّق الشابة البالغة 25 عاماً إلى شراكة أجريت مع استديوات MAD Solutions وأسهمت في تحديد برنامج العروض السينمائية لغاية نهاية شهر كانون الثاني (يناير) 2019، مشدّدة على أهمية التواصل مع الفنانين.

بداية الأنشطة كانت مع العرض المسرحي «تاء ساكنة» (45 د. إنتاج «نون للإبداع» بدعم من «المورد الثقافي» وبالشراكة مع Astharé) لندى ثابت، تلاه تكريم المخرجة اللبنانية الراحلة نبيهة لطفى عبر عرض وثائقي «نبيهة لطفى. العدسة العربية» (2005) لإليان الراهب، قبل أن يحين أمس الجمعة موعد فيلم «ربيع» (105 د. إخراج فانتسيه بولغورجيان) وفي 12 تشرين الأول (أكتوبر) الحالي، يتحصّر «إشبيلية» لاستضافة فيلم «من السعامة» (70 د - إخراج وسام شرف، ليوقّع أحمد فقير في اليوم التالي اليوم «لما تبيبي» لا شك في أنّ المشروع مغامرة حقيقية، لكن يبدو أنّ لدى القائمين عليه الكثير من الأمل في نجاحه، وسط رهان كبير على الشباب.

تستعيد تاريخها.. ودورها؟

واستقطبت حتى الآن عدداً كبيراً من الفنانين اللبنانيين والعرب. ثمّ بتنا نشهد كل فترة إقامة فعاليات فنية وثقافية (ولو جولة) في فضاءات مختلفة من المدينة (حانة «سهرية» مثلاً). كتاب «بوابة الجنوب» تلخ عنهارداء الفهر. توالت بعدها المبادرات الفردية والجماعية لاسترجام بعض أمجاد الماضي. هنا تتوقف عند بعض الفضاءات التي افتتحت أخيراً في المدينة. فيما يواصل بعضها الصمود والمقاومة واجتياز الامتحانات المختلفة مثل «مركز معروف سعد الثقافي»

في «خوابي عبّود»... ولدت التجربة



تستمر عملية ترميم البنية في صيدا القديمة منذ سنوات (هيلم الموسوي)

علاقة المكان الذي ترعرع فيه المرء أو حالته الاجتماعية والاقتصادية بإمكانية أن يكون فنّاناً أو مبدعاً». يقول في حديث مع «الخبار» بين قطار «خوابي عبّود» المصنوعة من أحجار العقد، ويضيف: «تعرّفت إلى بدر زيدان، وادركت أنّ لدينا توجهات مشتركة في هذا الخصوص، وما نحن نحاول بلورة الموضوع وإنضاجه».

فضلاً عن مختارات من تأليف جرّاد في هذا السياق، يوضّح الأخير أنّ البرنامج سيقدّم هذه المقطوعات، لكن مع مفاجآت إلى جانبه إدخال بعض التعديلات عليها. إيلي الذي درس الموسيقى الكلاسيكية ويعزف الجاز ولديه خبرة كبيرة في الموسيقى الشرقية، يوضّح أنّ سبب اختيار «خوابي عبّود» أنّه مكان يعرفه جميع الصيداويين ولهم ذكريات معه: «أنا ابن صيدا وأعرف جيداً قيمة هذا المكان بالنسبة إلى أبائنا».

قبل سبع سنوات، لم تكن «خوابي

علاقة المكان الذي ترعرع فيه المرء أو حالته الاجتماعية والاقتصادية بإمكانية أن يكون فنّاناً أو مبدعاً». يقول في حديث مع «الخبار» بين قطار «خوابي عبّود» المصنوعة من أحجار العقد، ويضيف: «تعرّفت إلى بدر زيدان، وادركت أنّ لدينا توجهات مشتركة في هذا الخصوص، وما نحن نحاول بلورة الموضوع وإنضاجه».

فضلاً عن مختارات من تأليف جرّاد في هذا السياق، يوضّح الأخير أنّ البرنامج سيقدّم هذه المقطوعات، لكن مع مفاجآت إلى جانبه إدخال بعض التعديلات عليها. إيلي الذي درس الموسيقى الكلاسيكية ويعزف الجاز ولديه خبرة كبيرة في الموسيقى الشرقية، يوضّح أنّ سبب اختيار «خوابي عبّود» أنّه مكان يعرفه جميع الصيداويين ولهم ذكريات معه: «أنا ابن صيدا وأعرف جيداً قيمة هذا المكان بالنسبة إلى أبائنا».

قبل سبع سنوات، لم تكن «خوابي



من أحد مقاهي «قلب البلد» (هيلم الموسوي)



من أحد مقاهي «قلب البلد» (هيلم الموسوي)

عبّود» سوى «معصرة عبّود» التي ذاع صيتها على امتداد البلاد خلال العقود الماضية. معصرة الزيتون التي كانت مقصّودة بكثافة وكانت تصنع في إيام عزّها قرابة سبعين طناً من الزيت يومياً.

ثلاثة أجيال تعاقبت على إدارتها بدءاً من جدّ إبراهيم مروراً بالابن أنبیر وصولاً إلى الحفيدة زهية وأحد أشقائها. غير أنّ تبدّل الأحوال، واختفاء البساتين لمصلحة الأبنية السكنية وغيرهما من العوامل أرغما زهية على إقفال المعصرة. لكنّ هذه المرأة المصرّة على السكن في صيدا بينما عاشت في بيروت، تقول لنا إنّها لم ترد الاستسلام ولم توصل الأبواب نهائياً، بل استغلت المكان لتطوير هوايتها في صناعة الصابون، لتتحوّل المعصرة إلى محترف ينتج صابوناً طبيعياً مئة في المئة. مع العلم بأنّ زهية لم تتخلّ عن «الشغل بالزيت» لأنه «يمشي في دمي... صحيح أنّي حزت إجازة في الكيمياء من «الجامعة الأميركية في بيروت» لكنني عملت مع والدي هذا لمدة 27 سنة».

إذا، الانطلاقة ستكون من حفلة الغد التي سينقلها الكثير من الأرتجال، على أن تتبعها حفلات أخرى في معالم مختلفة من المدينة. هكذا، سيتعرّف الصيداويون والجنوبيون ما يحاول بزّاق ورفاقه فعله، قبل أن يستكملوه خلال أشهر بتأسيس أكاديمية موسيقى ومسرح تتوجّه للطالب الراغبين في الالتحاق بها كهواية مقابل أسعار مدروسة، وإلى أولاد العائلات الفقيرة في صيدا القديمة (لبنانيين وفلسطينيين الذين سيتعلّمون مجاناً وقد يجولون مواهبهم إلى مصدر رزق في المستقبل.

هذا ما يتوقّده بزّاق، لافتاً إلى أنّ الهدف هو نشر الثقافة، وإعادة صيدا إلى مكان يعرفه جميع الصيداويين ولهم ذكريات معه: «أنا ابن صيدا وأعرف جيداً قيمة هذا المكان بالنسبة إلى الواقع، وبدننا نساعد بعض ونغيّر نادين...

«معروف سعد» على موعد مع أحمد حويلي

شهر صفّر. إلا أنّ أسبعية الصيداوية تأتي لتحمل رسائل عدة. إذ يريد أن يقول «أنا الحسين ليس لطائفة مميّنة، بل هو رمز لكلّ حرّ. على المستويات الاجتماعية والسياسية والعقائدية والصوفية» مشدّداً على أنّه خلافاً لما تزوّجه بعض الحملات ودعوات القاطعة التي تستهفه، لا يحاول نشر ما يستهونه التصوّف الشعبي. ببساطة، سابقاً ناشيد لكلّ إنسان حرّ قتل في سبيل البشرية ومبادئ سامية، طبعاً. تندرج هذه الأمسية في سياق الأنشطة الجدية التي يحرص «مركز معروف سعد الثقافي» على إقامتها. ولو بشكل غير منتظم. برغم الظروف الاقتصادية الصعبة والأزمات السياسية والأمنية. لا يزال هذا الفضاء، الذي تأسس عام 1989، يحاول المساهمة في إنعاش الحياة الثقافية في صيدا.

لجنة أنشطة مؤلّفة من عدد من المتطوعين غير المنتسبين إلى التنظيم الشعبي الناصري. أبصرت النور قبل حوالي عامين، تعمل بالتنسيق مع إدارة المركز على استقدام عروض منوّعة. هكذا، استمتع الجمهور

شهر صفّر. إلا أنّ أسبعية الصيداوية تأتي لتحمل رسائل عدة. إذ يريد أن يقول «أنا الحسين ليس لطائفة مميّنة، بل هو رمز لكلّ حرّ. على المستويات الاجتماعية والسياسية والعقائدية والصوفية» مشدّداً على أنّه خلافاً لما تزوّجه بعض الحملات ودعوات القاطعة التي تستهفه، لا يحاول نشر ما يستهونه التصوّف الشعبي. ببساطة، سابقاً ناشيد لكلّ إنسان حرّ قتل في سبيل البشرية ومبادئ سامية، طبعاً. تندرج هذه الأمسية في سياق الأنشطة الجدية التي يحرص «مركز معروف سعد الثقافي» على إقامتها. ولو بشكل غير منتظم. برغم الظروف الاقتصادية الصعبة والأزمات السياسية والأمنية. لا يزال هذا الفضاء، الذي تأسس عام 1989، يحاول المساهمة في إنعاش الحياة الثقافية في صيدا.

لجنة أنشطة مؤلّفة من عدد من المتطوعين غير المنتسبين إلى التنظيم الشعبي الناصري. أبصرت النور قبل حوالي عامين، تعمل بالتنسيق مع إدارة المركز على استقدام عروض منوّعة. هكذا، استمتع الجمهور



يحلّ أحمد حويلي الليلة ضيفاً على صيدا. كان يفترض بالأمسية التي يخصّنها «مركز معروف سعد الثقافي» أن تقتصر على الشيخ المتصوّف (غناء) والموسيقي اللبناني زياد سخّاب على العود. إلا أنّ حويلي ارتأى التعديل، فدعا الموسيقيين جيو نجاريان (إيقاع) ومحمد نحاس (قانون) و خليل البابا (كمنجة) ومرمي بو كامل (كيبورد) للمشاركة في هذا الموعد. البرنامج سيكون منوّعاً، يشمل أعمالاً مثل «إقرأ» (كلمات رندلي منصور، لحن مرتجل)، و«هواك كثير علي» (كلمات مهدي منصور، ولحان وزيد سخّاب)، و«عرفت الهوى» (كلمات رابعة العدوية، الحان زياد سخّاب)، و«لا يا أيّها الساقى» (كلمات حافظ الشيرازي، الحان زياد سخّاب)... ولن تخلو الأمسية من ابن الفارض أيضاً، فيما يتوقّع أن تتخلّلها قصيدتان أو أكثر «بطلع حسيني». هذا ما يقوله الشيخ أحمد في اتصال مع «الخبار». مشيراً إلى أنّه حرص خلال السنّتين الماضيتين على عدم إقامة الحفلات خلال شهر محرم والأيام العشرة الأولى من

* الليلة . الساعة الثامنة مساءً - «مركز معروف سعد الثقافي» (صيدا). جنوب لبنان. 01/218078 أو 03/006329 للاستعلام.